النظرية اللسانية المعنى- نص

بابا احمد رضا *

جامعة تلمسان- الجزائر

مقدمة:

تبلورت النظرية اللسانية المعنى-نص[1] في سياق البحوث التي كانت تعالج الترجمة الآلية، في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين على يد اللسانيين الروسيين شلكوفسكي ومالتشوك[2]. تصنف هذه النظرية إبيستيمولوجيا ضمن المنظور الاتصالي المعرفي؛ حيث اللسان هو أداة للاتصال، ووسيلة للاستدلال والمفهمة داخل العملية المعرفية[3]، و تنتمي علاقاته مع الأنظمة المعرفية الأخرى إلى مجال دراسة بنيته[4].

إذا اللسان، من وجهة نظر هذا الاتجاه، عبارة عن جهاز مجرد أو نظام من القواعد، يمكن للمتكلم من خلاله:

- التكلم: أي له القدرة من جهة على أن يقيم توافقا بين المعاني التي ينشئها في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله [5]، وبين نصوص لسانه كلها التي يمكن حسبه أن تدل على تلك المعاني، ومن جهة أخرى على أن يختار من بين تلك النصوص ما يقتضيه الحال لدى فعل لغوي معطى.
- فهم الكلام: أي له القدرة من جهة على أن يقيم توافقا بين نص متلقًّى وبين كل المعاني التي يمكن حسب المتكلم أن يزجيها ذلك النص، ومن جهة أخرى على أن يختار من بين تلك المعاني ما يناسب ملابسات المقام لدى فعل لغوي معطى.

يهدف اللساني هنا أساسا إلى إنشاء نظام القواعد للسان المدروس مثل برنامج حاسوبي، هذه القواعد تحدد التوافقات التي يقيمها المتكلمون بين المعاني والنصوص[6].

يمثل المعنى في هذه النظرية تلك الخاصية الذي تشترك في الكشف عنها مجموعة الجمل المترادفة، حيث يمكن التعبير عن ذلك المعنى بطرق مختلفة تسمى إعادة الصياغة [7]. لا يعني هذا أن المعنى هو معطى مبدئي، بل هو متلقى بعد دراسة الممارسة الفعلية للسان من قبل المتخاطبين . أما النص فيها فهو الذي يجسد ذلك المعنى، إما على شكل وثيقة أو مدونة أو حديث[8]. والحديث هو مقطع مستقل من السلسلة الكلامية يكون بين فراغين ناتجين عن سكوت أو تغير عند المتكلم، وهو يشكل وحدة نغمية[9].

1. مميزات النظرية

تتصف هذه النظرية بعدة مميزات يمكن تحديدها كالآتي:

- تبحث عن إيجاد نموذج إجرائي منطقي قادر على أن يحاكي النشاط اللغوي الإنساني عبر وسائل آلية خالصة، ولا تقتصر فقط على إنشاء نحو مولد للعبارات اللسانية[10].

- ترتكز على مبادئ عامة أو كليات تنطبق على كل الألسنة، فلا تفضل في الوصف لسانا دون آخر، ولا تحمل ملامح اللسان الروسي الذي كان لسان الباحثين فيها أول الأمر[11].

- تسمح بإنشاء نماذج صورية خاصة بكل الألسنة، استنادا إلى مبادئ عامة ترتكز عليها، حتى لو قامت على كليات فهي لا تعتبرها غاية في حد ذاتها، بل الهدف هو إنشاء نماذج جزئية خاصة بكل لسان.

- هي أداة في يد المعجمي والنحوي، تتوجه نحو وصف حركي يقابل التصنيف السكوني، وذلك عند وصفها لمكنزمات الترجمة من المعنى إلى النص[12].

- نتيجة لهذا التوجه نحو الوصف، لا تطمح هذه النظرية إلى تفسير الوقائع النفسية للسان، فهي تصنِّف هذا النوع من البحوث ضمن اللسانيات الخارجية التي تدرس اللسان في صلته بالواقع وحال الاستعمال، كما أن هذا الاتجاه يفترض معرفة سابقة بالظواهر الداخلية للسان، وتفضل بـالمقابل أن تدرس وتصف تلك الظواهر الداخلية للسان (البنى المعجمية والنحوية له) وتعتبرها هدفها الأول.

- تعنَى هذه النظرية بالتوافق الذي يمكن أن يقيمه كل متكلم للسان ل بين معنىً ما من ل ومجموعة العبارات من ل التي تؤدي ذاك المعنى. لذلك تعتبر اللسان آلة افتراضية تسمح بترجمة معان إلى عبارات تدعى نصوصا أو ترجمة النصوص إلى معان، ولا تعتبره آلة افتراضية تقوم بإنتاج مجموعة غير منتهية من العبارات كما هو الحال لدى المقاربة التوليدية[13].

- يشتمل نموذجها اللسا ني المعنى- نص على معجم ونحو ومجموعة عمليات تسمح بتفعيل هاتين المؤلِّفتين[14] لوصل المعنى بالنص، نرمز لها بـ: معنى <=> نص.

- بما أن كل مؤلفات النموذج صورية فإنه قابل للحساب، وبالتالي يمكن أن يفعّل ه نظام منطقي أو برنامج حاسوبي، لذلك فإن النماذج المعنى-نص حاسوبية بطبيعتها، يمكن أن تفحص حاسوبيا وتستعمل كتطبيقات لمعارف معجمية ونحوية للسان[15].

يتم استخلاص خصائص الجملة والكل مة من خلال وضع مسلمة المستويين الفرعيين بين المعنى والنص. مفهوم "المستوى" مستعمل لدى جميع المدارس اللسانية؛ حتى إن تشومسكي يعتبره مفهوما مركزيا في النظرية اللسانية حيث يمثل بالأساس مجموعة من المكنزمات الوصفية المناسبة لبناء الأنحاء، ويشكل طريقة لتمثيل الأحاديث ويسهل تمثيلها لأنه يجزِّئ النظام العام للسان إلى أنظمة صغرى[27]. ومن هنا، يمكن اعتبار النحو مكونا من مجموعة من المستويات اللسانية، يمثل كل واحد منها الوحدات اللغوية على شكل متتالية من العناصر المسلسلة[28].

4. خصائص النموذج

يملك هذا النموذج ثلاث خصائص هامة هي:

1.4. معادلي أو ترجمي

على عكس النماذج التوليدية، لا ينحصر دوره في توليد جمل، بل يقيم توافقا بين كل تمثيل دلالي وكل تمثيل صوتي في لسان معطى، لذلك يوصف بأنه معادلي**[29]**؛ حيث يربط بين تمثيلات في مستويات متجاورة: نأخذ تمثيلا من مستوى م ونصله بتمثيلات متوافقة معه في مستوى م$_{+1}$ نتجت عن التمثيل الأول دون أن يحدث لها تغيير، فهي ليست تحويلية أيضا، وفي الوقت نفسه نقوم باختيار التمثيل الأمثل والمناسب في المستوى م$_{+1}$.

من خلال ذلك، يحاول النموذج أن يقترب من نشاط المتكلم الذي لا يمضي وقته في توليد مجموعات من الجمل السليمة نحويا، كما أنه لا يقوم بتحويل البنى المجردة، فهو يتكلم أي يعبر من خلال النصوص عما يريد تبليغه من المعاني . ينجز هذا النموذج العمل نفسه فهو يترجم معنى معطى إلى نص، لذلك يوصف بأنه ترجمي[30].

2.4. اعتماده على الجمل المترادفة[31]

تشمل الملكة اللسانية مقدرة المتكلم على أن ينتج ابتداء من معنى ما كل النصوص التي يمكن أن تعبر عنه، ومقدرته على أن يختار من بين تلك النصوص ما يوافق مقاما معطى، وهذا ما يعكس مبدأ الترادف بين الأحاديث حيث تعطي إعادة صياغة حديث ما حديثا آخر ذا محتوى دلالي مرادف لمحتوى الحديث الأول [32]. تشكل هذه الخاصية أساسا للنموذج المعنى- نص وميدانا لتجريبه في الوقت نفسه، حيث يعمل على صياغة كل الجمل المترادفة التي تعبر عن معنى معطى ضمن لسان معين، والتي هي مستحسنة عند جمهور المتحدثين بذلك اللسان[33].

3.4. إجمالي ومتكامل

يحاول النموذج أن يصف اللسان في كليته دون أن يجزئه إلى مقاطع معزولة، فلا يقوم بوصف كل منها على حدة، لذلك يعمل على أن تكون كل مؤلفاته متلاحمة، بما في ذلك معجمه وكل أجزاء نحوه، لأنها معدة لتعمل سوية من أجل تركيب النصوص . لذلك، ينعت بأنه إجمالي لتناوله كل عناصر اللسان في حال ارتباطها، ومتكامل لأنه لا يهمِل أي جزء منها في كل مستوياته التمثيلية[34].

٥. التمثيلات اللسانية ومستويات التمثيل

يتم عرض بنية النموذج وكيفية اشتغاله بتبيين ما يلي : كيف يمكن لتمثيل معنى معطى أن يترجم إلى مجموعة الجمل المترادفة ؟ في كل مرحلة من عملية الترجمة تجرَى اختيارات لسانية تقود إلى إنتاج حديث معطى، وذلك الاختيار يقع ضمن كل الجمل الممكنة التي تسمح بالتعبير عن المعنى الذي أدخَل في النموذج.

يخضع التمثيل اللساني للمستوى الذي ينتمي إليه، لذلك نجد تمثيلات في المستوى الدلالي، والتركيبي والصرفي والصوتي . تلك المستويات هي أنظمة مسلسلة ومعينة بمجموعة منتهية من العناصر والقواعد التي تحدد العلاقات بين تلك العناصر . كما أن العلاقات بينها تعين بواسطة مجموعة قواعد التمثيل التي تعبر عن الكيفية التي من خلالها تمثِّل عناصر من مستوى أعلى عناصر أخرى من مستوى أدنى[35].

تتفرع كل مستويات التمثيل اللساني للأحاديث، ما عدا المستوى الدلالي، إلى مستوى فرعي عميق وآخر سطحي . يوجَّه المستوى الفرعي العميق نحو المعنى ووظيفته التعبير بوضوح عن كل الفروق الدلالية المتصلة بمستواه . ويوجه المستوى الفرعي السطحي إلى النص ووظيفته عرض كل الفروق الصورية المتعلقة بمستواه بكل وضوح. بعد إضافة هذه الثنائية "سطحي≠عميق" نحصل على مجموعة لسبع تمثيلات لسانية خاصة بحديث معطى.

يتكون النموذج من ست مؤلفات، تتوافق مع التفريعات المعروفة في اللسانيات : علم الدلالة، علم التركيب، علم الصرف، الصوتيات الوظيفية باستثناء المستويات الفرعية العميقة والسطحية التي هي من ابتكار هذه النظرية [36]. كل مؤلفة محددة بتمثيل البداية، فعلم الدلالة ينطلق من تمثيل دلالي من أجل بناء كل التمثيلات التركيبية العميقة التي تحمل المعنى نفسه المعبر عنه في التمثيل الدلالي، وعلم التركيب العميق ينطلق من تمثيل تركيبي عميق، ويوفِّر كل التمثيلات التركيبية السطحية التي يمكن أن تحقق هذا التمثيل التركيبي العميق، وهلُم جرًّا[37].

التوافقات	مكونات النحو
التمثيل الدلالي <=> التمثيل التركيبي العميق	١) علم الدلالة
التمثيل التركيبي العميق<=>التمثيل التركيبي السطحي	٢) علم التركيب العميق
التمثيل التركيبي السطحي<=>التمثيل الصرفي العميق	٣) علم التركيب السطحي
التمثيل الصرفي العميق<=>التمثيل الصرفي السطحي	٤) علم الصرف العميق
التمثيل الصرفي السطحي<=>التمثيل الصوتي العميق	٥) علم الصرف السطحي
التمثيل الصوتي العميق<=>التمثيل الصوتي السطحي	٦) علم الأصوات العميق

تتألف التمثيلات المستعملة في هذا النموذج من عدة مواضيع صورية تدعى بنيات.

1.5. التمثيل الدلالي

أول مشكلة تعترض الباحثين هنا هي صياغة مدخل للنموذج المعنى- نص. فمن الناحية النظرية، إقامة رسالة لسانية وترجمتها في تمثيل دلالي هي عملية لا تنتمي إلى النموذج اللساني وحده، بل هي شركة بينه وبين صياغة نماذج العالم أي العمليات المعرفية غير اللغوية . لذلك نفترض في هذه الحالة أن التمثيل الدلالي هو معطى أولي للانتقال معنى=>نص.

إذا من أجل وصل معنى غير صوري بتمثيل صوري، نحتاج على الأقل إلى البنيات التالية:

- ***البنية الدلالية:*** تعكس معنى القضية أو الموضوع الخاص بالحديث الممثل، وتشكل نواة التمثيل الدلالي أو بنيته القاعدية، وتتركب فوقها البنيات الأُخر وتحددها. نقوم في هذه البنية بإبراز عناصر المعنى الفردية والمقولات الدلالية، ثم بتعيين طبيعتها الدلالية (محمول، موضوع)، وأخيرا بإقامة وصلات بينها[38].

- ***البنية البلاغية :*** تبيَّن فيها مقاصد المتكلم من حيث الإخبار أو الاستفهام أو التهكم أو غيرها[39].

- ***البنية الاتصالية :*** يتعلق الأمر بتجزئة التمثيل الدلالي إلى شبكات فرعية تبيِّن التجمعات الاتصالية للمعاني الحاضرة ضمن الرسالة، يخص بعضها المخبر عنه وبعضها الآخر المخبر به . يعتبر المخبر عنه المحور الذي تدور حوله الرسالة، والموضوع الذي من أجله صيغت تلك الرسالة، وهو يعرف بموقعه في صدارة الحديث في بعض الألسنة كالإنجليزية وا لعربية أحيانا، أو

في الأمثلة: « أَحْكَمُ مِنْ أَكْثَمَ، أَكْرَمُ مِنْ حَاتِمٍ، أَخْلَفُ مِنْ عُرْقُوبٍ »، **تا** هي 'الشدة' أو 'الحدة'، وس={أحكم، أكرم، أخلف}، وع={من أكثم، من حاتم، من عرقوب}؛

'الحدة'(أحكم)= من أكثم

'الحدة'(أكرم)= من حاتم

'الحدة'(أخلف)= من عرقوب

أما من ناحية المحتوى، فالدالة المعجمية تشكل معنىً متميزًا بثلاث خصائص هي:

- المعنى المتعلق بها هو أكثر تعميما وتجريدا، لذا يمكن لها أن تحصل على عدة متغيرات، أي يمكن لمعناها أن يرتبط بعدة لفظات. في مثالنا: يمكن للحدة أن تصف عدة لفظات تتضمن مكون التفضيل 'أكثر' أو 'أقل'، هذا المعنى يضمن عددا لا بأس به من **س** للدالة المعجمية.

- للمعنى المتعلق بها عدد كبير من العبارات الممكنة، في مثالنا : تتجلى الحدة في عدد كبير من اللفظات: ألطف من [النسيم]، أمضى من [السيف]، أظلم من [العتمة]، هذا المعنى يضمن عددا كبيرا من ع.

- اختيار العبارة المناسبة يكون على أساس اللفظة **س** التي يتعلق بها المعنى. في مثالنا: اللفظة 'ألطف' تستدعي 'من النسيم' لا 'من السيف'. هذا المعنى المرتبط بالدالة المعجمية محدد دائما بواسطة **س** كيفما كان **ع**[47].

أما الأسهم في المشجر فتعبر عن العلاقات التركيبية التالية:

١) علاقات الفواعل الحقيقية الستة (I، II، III، IV، V، VI)[48].

٢) العلاقة الوصفية وتشمل جميع حالات التغيير في المتعلَّقات بها.

٣) العلاقة العطفية وتشمل كل أنواع العطف.

٤) العلاقة الإلحاقية لعناصر الجملة التي تبدو في علاقة غير واضحة مع قمّتها.

هذه العلاقات التركيبية العميقة هي كلية وعامة لجميع الألسنة، وليست خاصة بلسان معين[49].

- ***البنية العائدية :*** التمثيل التركيبي العميق هو مشجرٌ اللفظاتُ فيه متعلقة تركيبيا بغيرها من اللفظات الأخرى، مما يعني أن كل لفظة لا تقوم إلا بوظيفة واحدة في الجملة . يمكن أن ينبع من عقدة دلالية واحدة عدة عقد تركيبية، لذلك تسمى عقدا واحدة الإحالة . ذكر وحدة الإحالة ضروري في التمثيل التركيبي العميق من أجل تشكيل عوائد الضمير عند الانتقال إلى التمثيل التركيبي السطحي. تعيَّن وحدة الإحالة داخل التمثيل بواسطة بنية عائدية ملحقة بالبنية التركيبية على شكل سهم متقطِّع ثنائيِّ الاتجاه يربط بين العقدتين واحدتيِ الإحالة.

- ***البنية الاتصالية :*** إذا كانت البنية الاتصالية تستعمَل في التمثيل الدلالي لفحص سيرورة التشجير، فإنها في التمثيل التركيبي العميق تقوم بالتأثير في الاختيار السطحي، مثلما تؤثر تعلُّقات التركيب السطحية في تسوية بنيات التنغيم[50].

- ***البنية التطويحية :*** يشمل التطويح مجموعة الظواهر الصوتية فوق المقطعية كالنبر والتنغيم والوقفة التي تتجاوز الخصائص الفردية للفونيم . يملك هذا التمثيل في الأخير بنية تطويحية أي تمثيلا صوريا للتطويح الضروري من أجل التعبير عن نوع الرسالة المرمَّزة في التمثيل الدلالي[51].

3.5. التمثيل التركيبي السطحي

يركِّز التمثيل التركيبي العميق على الاختلاف بين الاختيارات التركيبية الخاصة بمحتوى التعبير، أما التمثيل التركيبي السطحي فيكشف عن الاختلاف بين الاختيارات التركيبية الخاصة بكيفية التعبير عن ذلك المحتوى. يتضمن الانتقال نحو المستوى التركيبي السطحي العمليات التالية:

١) حساب العلاقات التركيبية السطحية الخاصة باللسان محل الدراسة، وذلك انطلاقا من التعلقات التركيبية العميقة[52]؛

٢) اختيار القيم الممكنة للدوال المعجمية الحاضرة في التمثيل التركيبي العميق؛

٣) إدخال لفظات فارغة أو مورفيمات نحوية ضرورية لضمان السلامة النحوية للجملة؛

٤) التضمير حيث يتم تعويض اللفظات واحدة الإحالة بضمير ما عدا تلك التي ستتصدر النص؛

٥) صياغة البنيات الاتصالية والعائدية والتطويحية للمستوى التركيبي السطحي[53].

شبكة التعريبات العربية

(الحزينة أو الفرحة ...)، ومسار تلك المنحنيات التنغيمية هو الذي يحدِّد إلى أي مقولة من المقولات المتقدمة ينتمي حديث ما[58].

على هذا المستوى، يمكن إقامة اختيارات مختلفة انطلاقا من التمثيل التركيبي السطحي الذي لا يشكل ترتيبا للوحدات المعجمية . ومن هنا، كلما ابتعدنا عن التمثيل الدلالي، قلت الاختيارات الممكنة وكانت الاختلافات سطحية.

5.5. التمثيل الصرفي السطحي

المكونة الصرفية العميقة تجعل من التمثيل الصرفي العميق مدخ لا تفرِّع منه التمثيل الصرفي السطحي. هذا الأخير هو سلسلة التمثيلات الصرفية المورفيمية للصيغ الخاصة بالكلمات داخل الجملة . في هذا التمثيل، كل صيغة كلمة تحتوي مجموعة المورفيمات التي تشكلها، والمورفيمات تكوّن مجموعة المورفات التي يقع الاختيار من بينها في المستوى الصوتي، وتكون المورفيمات بين حاضنتين.

الفرق بين التمثيلين الصرفيين العميق والسطحي يكمن في أن الأول يركز على الوحدات النحوية أو المعاني التصريفية، أما الثاني فيبحث عن عرض واضح للمورفيمات الواردة في النص أي يعمل على تمثيل مجموعة الدوال التي تحيل على تلك المعاني التصريفية[59].

6.5. التمثيل الصوتي العميق

إن البنية الصرفية السطحية هي نقطة انطلاق لتفريع كل التمثيلات الفونيمية العميقة الممكنة . في هذا المستوى، تمثل سلسلة الفونيمات الواردة في النص[60].

كيف أصبحت اليوم

7.5. التمثيل الصوتي السطحي

المكونة الصوتية للنموذج تجعل التمثيل الصوتي العميق يتوافق مع التمثيل الصوتي السطحي . في هذا المستوى، تمثل سلسلة الأصوات التي تنتمي إلى تلك الفونيمات، وقد تشكل تنوعا لهجيا وخاصا بمنطوق فئة من الناس داخل الجماعة اللغوية نفسها.

(كِفَ صْبَحْتَ لْيَوْم)

[25] أو بتعبير أدقّ صيغة الكلمة أو شكلها، وهي كلمة مفردة متمكنة أو مجردة مزالة اللبس مأخوذة في صيغة تصريفية خاصة، مثال: [SPEAK] لكسيم، بينما speak, speaks, spoke, spoken هي صيغ الكلمة. ينظر: Radford (Andrew) and al., Linguistics: An introduction, Cambridge University Press: UK, 2000, p166.

[26] يسمَّى تواقعا معجميا للعنصر س كونُه يظهر في جملة معطاة بجانب عناصر أخرى . ينظر: Dubois (Jean) et al., Dictionnaire de linguistique, op.cit, p125.

[27] ينظر: Chomsky (Noam), Structures syntaxiques, trad. par Michel Braudeau, Ed. du Seuil, 1969, pp. 13,21

[28] ينظر: Ruwet (Nicolas), Introduction à la grammaire générative, Plon : Paris, 2^{e} éd., 1968, p88

[29] العلاقة ذات الشكل: تا(س) = ب هي معادلة إذا كانت تا تطبيق لمجموعة ع في مجموعة ك، ب هو عنصر من ك، س يدعى مجهولا. وفي اللسانيات، المعادلة الدلالية هي مجموعة السمات الدلالية الخاصة بكلمة أو بتركيب. ينظر: Dictionnaire Hachette encyclopédique, Hachette : Paris, 2001, pp. 553-554

[30] ينظر: Mel'cuk (Igor), Vers une linguistique Sens-Texte, op.cit, p17

[31] العبارات التي يقبلها ويستعملها المتخاطبون على أ نها متعادلة من حيث المضمون . ينظر: Fuchs (Catherine) ; Le Goffic (Pierre), Initiation aux problèmes des linguistiques contemporaines, op.cit, p104.

[32] ينظر: Baylon (Christian) ; Mignot (Xavier), Initiation à la sémantique du langage, Nathan, 2000, p88

[33] ينظر: Mel'cuk (Igor), Vers une linguistique Sens-Texte, op.cit, pp. 30-31

[34] ينظر: Ibid., p17

[35] ينظر: Dubois (Jean) et al., Dictionnaire de linguistique, op.cit, p337

[36] ينظر: Ducrot (O.) ; Schaeffer (J.-M.), Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences

du langage, Editions du Seuil : Paris, 1995, p119.

[37] ينظر: Fuchs (Catherine) ; Le Goffic (Pierre), Initiation aux problèmes des linguistiques contemporaines, op.cit, p105.

[38] ينظر: Mel'cuk (Igor), Clas (André) et Polguère (Alain), Introduction à la lexicologie explicative et combinatoire, Duculot : Belgique, 1995, p73.

[39] ينظر: Dubois (Jean) et al., Dictionnaire de linguistique, op.cit, p423

[40] ينظر: Malmkjær (Kirsten), The linguistics encyclopedia, Routledge : London, 1st ed., 1991, p143

[58] ينظر: Gardes-Tamine (Joëlle), La grammaire : phonologie, morphologie, lexicologie, Armand Colin : Paris, 1990-1998, pp. 23-25.

[59] ينظر: Mel'cuk (Igor), Vers une linguistique Sens-Texte, op.cit, pp. 27-28

[60] ينظر: Ibid., p66